شبكة المعلومات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار

في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
ASUNET

بعض الوثائق الاصلية تالفة

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

بالرسالة صفحات لم ترد بالاصل

جامعة المنوفية
كلية الآداب
قسم الفلسفة
الدراسات العليا

١٩٠

الحرية فى الفكر السياسي الأمريكى

بين توماس بين و جون ديوى

دراسة مقارنة

رسالة مقدمة من الباحث

محمد كامل عجلان

للحصول على درجة الماجستير فى الفلسفة

تحت إشراف

الأستاذة الدكتورة
نازلى معوض أحمد
أستاذ العلاقات الدولية
بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

السيد الدكتور
أمين حافظ السعدنى
مدرس فلسفة السياسة
بكلية الآداب
جامعة المنوفية

٢٠٠٩ م

لجنة الحكم والمناقشة

الطالب / **محمد كامل عجلان**

فى موضوع / **الحرية فى الفكر السياسى الأمريكى بين توماس بين وجون ديوى** دراسة مقارنة .

أ.د/ **نازلى معوض أحمد** أستاذ العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة . د.نازلى معوض احمد

أ.د/ **عبدالفتاح مصطفى غنيمة** أستاذ فلسفة العلوم بكلية الآداب جامعة المنوفية .

أ.د/ **فضل الله محمد اسماعيل** أستاذ الفلسفة السياسية وعميد كلية الآداب جامعة الإسكندرية فرع دمنهور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿... رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

صدق الله العظيم
سورة البقرة : من الآية (٢٠١)

شكر وتقدير

إذا كان من تمام شكر الله سبحانه وتعالى أن نشكر الناس ؛ فإننى أجد لزاماً علىَّ أن أبدأ شكرى بمن أمرنا الله أن يكونا قبل كل الناس محل شكرنا الأول ، إلى أمى وأبى ، مصاحبة فى الدنيا بمعروف ، وخفضاً لجناح الذل من الرحمة ، فاللهم بارك فى عمرهما ، واغفر لى ولهما وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

ثم تأتى بعد أبوى السيدة الفاضلة الأستاذة الدكتورة نازلى معوض أحمد ، أستاذ العلاقات الدولية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة ، التى تفضلت – مشكورة – بالإشراف علىَ هذه الرسالة ، فأفاضت على الباحث من معين عطفها الذى لا ينضب ، وعلى بحثه من واسع علمها وغزيره ، فلها منى كل التقدير والعرفان .

وإذا كان ثمة عجز عن الشكر ، وإيمان بضيق اللغة رغم رحابتها ، وإحساس بالعجز إزاء فيض من العطاء ، يكون ذلك حين أحاول شكر أستاذى الدكتور أمين حافظ السعدنى ، الذى أحاط الباحث بفائض عطفه وكرمه ، ولم يدخر جهداً فى تذليل كافة العقبات التى واجهته ، فشكراً له على كل ما قدم ، محاولة عاجزة منى إزاء فيض عطائه المتدفق .

كما لا يسعنى إلا أن أتقدم بموفور شكرى إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء مجلس قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة المنوفية ، وفى مقدمتهم الأستاذ الدكتور صلاح عثمان رئيس القسم ، فلهم منى على قدم المساواة خالص الشكر والتقدير ؛ وإن لم يكن بمقدروى إلا أن أخص الدكتور مصطفى شاهين بامتنان خاص .

ولا أظننى إلا امرؤ سوء إذا لم أُقر بدَيْنى لأولئك الذين ساهموا فى وضع لبناتنا الفكرية الأولى ، وهم قابعون خارج الدوائر الأكاديمية ، راضون بالتوجيه ، مستبشرون بما قدمت أيديهم من بعيد ، لا يرجون شكراً ، ولا ينتظرونه ؛ لعلو قاماتهم ، وإن نمت كنبات الظل ، فإلى من يمثل هؤلاء عندى ، أتقدم بخالص اعترافى بالفضل إلى فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محفوظ على الدين الذى يتجسد فى شخصه النبيل كل ما عنيت .

وفى النهاية ، فإن من يستحقون الشكر يستعصون على الحصر ؛ فشكر الله لهم جميعاً ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

مقدمـــة

إذا كانت الحرية تعد من أكثر الموضوعات أهمية فى تاريخ الفكر الفلسفى بصـــفة عامة ، والفكر السياسى على وجه الخصوص ، فإنها كذلك تأتى فى طليعة إشكاليات هذين الفكرين ، حيث إن إشكال موضوع ما أو قضية معينة يأتى من صعوبة الحصـــول علـــى معنى ثابت يكتسبه المبحوث موضوع الدراسة ؛ نظراً لتعدد زوايـــا الرؤيـــة ، ومرونـــة الموضوع ، إذ يحمل الكثير من إمكانات التوافق مع معظم تلك الأطروحات التعريفيـــة . وإن كان لهذا دلالة ، فإنما يدل على ثراء ذلك الموضوع محل البحث ، وقابليته للاستجابة والتكيف مع محيطه الثقافى . وبالنظر إلى قضية الحرية نجد أنه قد اجتمعت فيها معظـــم تلك الأبعاد الإشكالية المشار إليها .

أولاً- موضوع الدراسة :

يدور موضوع هذه الدراسة حول الحرية فى الفكر السياسى الأمريكى ، لدى اثنين من ممثلى ذلك الفكر ، هما " توماس بـــين " Thomas Paine و" جـــون ديـــوى " John Dewey ، حيث عبَّر " توماس بين " من خلال تناوله لقضية الحرية عن بدايات مرحلـــة التشكل ، بينما تُبرز أطروحة " جون ديوى " - بعـــد اكتمالهـــا - خصوصـــية الحريـــة الأمريكية بعد اكتمال ملامح ذلك الفكر .

ولقد مرت الحرية خلال تاريخها بمراحل كثيرة ، اتخذت خلالها أشكالاً متعـــددة . إلا أن الحرية التي عرفها العالم منذ قيام الثورة الأمريكية تُعد شكلاً جديداً لهـــا ، حيـــث اتسعت دائرتها ، فما كان معروفاً قديماً من الحرية لم يكن سوى حرية سياسية ، تـــرتكن فى أساسها على مساهمة الفرد فى حكم الدولة ، مع ملاحظة أن تلك الحريـــة السياســـية ضيقة المجال ، لم تكن حقاً أصيلاً للجميع ، بل كانت مقصورة فقط على طبقة المواطنين وحُرم منها الأجانب والنساء والعبيد ، كما كان الحال فى ظل دولة المدينة اليونانية .

أما فى العصر الحديث فلقد اكتسبت الحرية مضامين جديدة ، حيث اكتسب الفـرد خصوصية لم تك متاحة له من قبل سواء لدى اليونان ، أو الرومان فى العصور الوسطى، فلقد أصبح للأفراد حقوق لاصقة بهم ولدت معهم ، ولا يمكن للدولة أن تمسها ؛ لأن الفرد قد حصل على تلك الحقوق من منطلق كونه إنساناً ، فبذلك تكون تلك الحقوق سابقة علـى نشأة الحكومة والمجتمع ، وبالتالى ، فلا يحق للدولة المساس بها ، وما علـى الحكومـة سوى حماية تلك الحقوق والحريات الخاصة بالفرد .

ولقد تأرجح مفهوم الحرية بين السلب والإيجاب ، حيث عبَّرت الحرية السلبية عن انعدام القسر أو الإكراه ، بينما دلت الحرية الإيجابية على الاستقلال الذاتى والقدرة علـى الفعل . ويختلف دور الدولة وفقاً لشكل الحرية ، فالحرية السلبية تقلـص ذلـك الـدور ، وتطلق يد الأفراد . أما الحرية الإيجابية ، فإنها تؤمن بدور أكبر للدولة فى توجيه الأفراد لمصلحتهم .

وهذان الشكلان للحرية هما طرحان من بين أطروحات عدة للحريـة ، وإن كـان لتعدد تلك الأطروحات دلالة ، فإنما تدل على أن الحرية مفهوم نسبى تـاريخى يخضـع للمتغيرات التى يتشكل فى إطارها ، فهو توافق بين المُدْخَلات الثقافية من جهة ومُخْرَجَات تلك الثقافة من جهة أخرى ، فإذا كان التحرك فى إطار مناخ لاهوتى ، ففى الغالب يكون الطرح الخاص بالحرية طرحاً لحرية الإرادة إزاء القدر. أما إذا كانت القضايا السياسـية هى الأكثر فرضاً لذاتها ، فإن الحرية تتمحور حول مدى مشاركة الأفـراد فـى العمليـة السياسية . وإن كان ذلك لا يعنى أن شكلاً معيناً يسيطر مُلْغِياً ما عداه من أشكال ، لكـن يكون هو الأكثر فرضاً لحقيقته، مجبراً الأشكال الأخرى أن تأتى فى مركز متخلف عنه .

ولقد كان لـ " توماس بين " دور هام فى نشر مبادئ الحرية فـى أمريكـا ودول أوربا ، وذلك من خلال مساندته لأكبر ثورتين فى العصـر الحـديث ، وهمـا الثـورة الأمريكية The American Revolution والثورة الفرنسية French Revolution . ولم يقتصر ذلك الدور على الناحية النظرية فقط ، والتى تمثلت فى مساهمته برسالة " الـذوق العام " Common Sense فى قيام الثورة الأمريكية ، حيث رجَّحت تلـك الرسـالة كفـة المنادين باستقلال أمريكا آنذاك ، وكذلك وضع كتابه " حقوق الإنسان " Rights of Man

من أجل دعم الثورة الفرنسية ، ومُفَنداً دعاوى ادموند بيرك التى تنادى بعدم أحقية الأفراد فى اختيار حكامهم أو الثورة عليهم .

ولم ينحصر دور " بين " فى ذلك الجانب النظرى ، لكنه شارك فى الحروب الأمريكية إلى جانب جورج واشنطن ، كما كانت له جهود دبلوماسية بعد الاستقلال حققت مصالح عدة للولايات المتحدة . وكذلك أصبح عضواً فى المؤتمر الوطنى فى باريس .

ولقد جاءت الحرية عند " توماس بين " متوافقة مع طبيعة المرحلة ، حيث كانت أقرب إلى طبيعة الحرية فى الفكر السياسى الإنجليزى آنذاك ، منه إلى حرية ذات صبغة أمريكية ، ومرد ذلك إلى أنه لم يكن ثمة فكر أمريكى أصيل بصفة عامة ، وبالتالى لم يوجد فكر سياسى أمريكى ذو طابع أصيل تتحدد على أساسه حرية ذات طابع أمريكى، وإنما اعتمدت أمريكا آنذاك على الوافد الأوربى من فلسفة وسياسة .

ولقد دارت رؤية " بين " عن الحرية فى فلك الأفكار التنويرية ، وبناء على ذلك ، جاء تناوله لمفاهيم الحقوق الطبيعية والحقوق المدنية والعقد الاجتماعى ... الخ . كما أنه عوّل على العقل كثيراً فى دفاعه عن الحرية ، حيث يعد العقل من مفاهيم الأساس فى الفكر التنويرى . فلم تكن حرية " توماس بين " هى الحرية الأمريكية ذات الطبيعة الخاصة المعروفة الآن ، لكن أطروحة " بين " كانت أحد المرتكزات التى أقامت عليه الحرية الأمريكية بنيانها .

أما " جون ديوى " ، فهو خير معبر عن الفكر الأمريكى إبان تشكله ، وصولاً إلى مرحلة النضج ، فإذا أردنا استقراء المراحل التكوينية للفكر الأمريكى ، فإنه من الممكن التعرف على ذلك من خلال المراحل التى صيغت فى ظلها المفردات الفكرية لفلسفة ديوى .

ولقد انقسمت فلسفة ديوى إلى مرحلتين أساسيتين ، مرحلة الاقتيات على الوافد الفلسفى الأوربى – وذلك حال الفكر الأمريكى كله آنذاك – حيث اعتنق ديوى الفلسفة المثالية ، ولم يكن صاحب فلسفة خاصة منذ بداية تفلسفه ؛ ويرجع ذلك إلى أن المناخ الفلسفى الذى تشكلت فى كنفه ذهنية ديوى الفلسفية ، كان يدور فى فلك الفلسفة

المثالية ، فما كان منه إلا أن يدور فى ذات الفلك الفلسفى .

ولقد تأثر ديوى كثيراً بالبيئة التى هاجر إليها فى رجولته ، وهى ما يُعرف فى الولايات المتحدة بالغرب الأوسط Middle West ، حيث تسود روح المغامرة والبحث الدائب عن الجديد ، فتشكلت فلسفة ديوى البراجماتية استجابة لتلك الظروف ، مضافاً إليها تأثره بالسابقين عليه من البراجماتين (بيرس C. S. Peirce – جيمس William James) وكذلك تأثره بالداروينية .

أما عن تناوله لقضية الحرية ، فنجد أنه لم يتحدث عن الحرية بمعناها الميتافيزيقى ، لكنه طرح تصوراً جديداً عن حرية أقرب إلى الواقع العملى ، حيث اعتبر أن الحرية لم تعد تعنى أياً من اختياراتنا يكون سبب الفعل ، لكن أيها يمكن السيطرة على نتائجه ، ليؤكد بذلك على توافق مفهومه عن الحرية مع فلسفته البراجماتية .

وفى إطار العلاقة الوثيقة بين الحرية والفردية طرح ديوى مفهوماً جديداً للفردية ، على أساس أن الفردية القديمة وإن كانت تناسب أوان ظهورها ، إلا أن ثمة متغيرات طرأت على طبيعة المجتمع الأمريكى أكدت على ضرورة طرح جديد لتلك الفردية يتوافق مع تلك المتغيرات ، فالفردية عند ديوى لن يكون لها معنى حقيقى إلا فى سياق اجتماعى ؛ ذلك لأن التحقق الفردى والاجتماعى يحدثان متزامنين .

وكذلك كانت الديمقراطية كآلية تفعيل للحرية ، تحمل مضموناً اجتماعياً ، فلم يقنع ديوى بكونها شكلاً سياسياً ، بل اعتبرها فلسفة حياتية تتخلل كل جوانب الحياة ، فى البيت والمدرسة ومقر العمل ، ويتم ذلك من خلال التربية ، والتى نالت اهتماماً خاصاً من جانب " ديوى " لدرجة جعلت البعض يصفه بأنه " فيلسوف التربية " . وليست الديمقراطية التى نادى بها ديوى ثابتة ، لا من حيث الشكل ، أو من حيث الفكرة ، بل هى فى حالة تغير دائم يتوافق مع متطلبات المجتمع المتغيرة . ففلسفة ديوى فى أساسها تؤمن بالتغير والصيرورة . فلقد جاء تناول ديوى للحرية ، وما يتعلق به من فردية وديمقراطية متوافقاً مع فلسفته البراجماتية بصفة عامة .

ثانياً- أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم الحرية خلال تطوره التاريخي من السلب إلى الإيجاب ، أى من مجرد كونه فكرة انعدام القسر إلى كونه استقلالاً ذاتياً وقدرة على الفعل . وهل تعنى تعدد أشكال الحرية ، وكثرة التعريفات المطروحة ، أن ثمة أشكالاً عدة للحرية ، أم أنها استجابات متعددة لمفهوم واحد لديه مرونة وقابلية للاستجابة وفقاً للظرفية التاريخية التى ينشأ فى كنفها .

كما تهدف هذه الدراسة أيضاً إلى تحديد طبيعة الحرية الأمريكية ، وهل ثمة ارتباط بين تلك الحرية وبين الفلسفة البراجماتية ، وإذا كان ثمة ارتباط ، فما هو شكل الحرية الأمريكية قبل أن تتشكل تلك الفلسفة البراجماتية ، وكان الفكر الأمريكى بصفة عامة ، والسياسى منه على وجه الخصوص ، يعتمد أساساً على الفكر الوارد من أوربا فى ذلك الوقت .

كذلك تهدف إلى بحث طبيعة العلاقة بين الديمقراطية كوسيلة والحرية كغاية ، وهل تحديد شكل معين للحرية ، يقتضى بالضرورة صبغ الديمقراطية بصبغته الخاصة ، وهل الديمقراطية هى الشكل الوحيد لتحقيق الحرية ، أم أن ثمة أشكالاً أخرى يمكنها فعل ذلك .

ثالثاً- أهمية الدراسة :

تُقاس أهمية أية قضية بمدى حاجة الإنسانية إليها ، وإذا كانت القضية المطروحة للبحث هى الحرية ، فيبدو أن حاجة الأفراد إليها لا تحتاج إلى دليل ؛ لدرجة أن بعض الفلاسفة قد اعتبر أن وجود الذات لا يمكن أن يعرف إلا بأنه وجود حرية ، ما دامت ذاتنا ليست سوى قدرتنا .

والواقع أن دراسة الحرية فى الفكر السياسى الأمريكى لها أهمية خاصة ، انطلاقاً من كون الولايات المتحدة هى القوة المسيطرة الآن ، فكان لزاماً علينا من أجل التعرف على ذلك الآخر الأمريكى ، أن نتعرف على واحدة من أبرز دعامات فكره

السياسى ، ألا وهى الحرية ؛ لأن أول مبادئ التعامل مع الآخر يجب أن يكون تحليل بنية ذلك الآخر الثقافية ، من خلال تحليل مفردات تلك البنية . كما أن الظرفية التاريخية تحتم علينا التعرف على تلك الحرية ، حيث أن الولايات المتحدة الأمريكية تطرح حريتها وديمقراطيتها كوسيلة وحيدة لخلاص الشعوب . فمعرفة ما إذا كانت تلك الحرية بطبيعتها البراجماتية يمكن زرعها فى بيئات مختلفة ثقافياً ، يتوقف على طرح تلك الحرية للدراسة والبحث .

وكما يُقال أن الحاجة هى أم الابتكار ، وهى إحدى الموجهات الأساسية لفكر الإنسان ، فإن حالة التردى التى يحياها عالمنا العربى من فقدان لتلك الحرية ، إلا من بعض مظاهر لها هنا أو هناك ، كانت حافزاً لطرح حرية ذلك الآخر القوى ، للتأكد من مدى قوة العلاقة بين التقدم والإبداع اللذين يؤديان إلى القوة ، وبين انتشار مبادئ الحرية والديمقراطية . وكذلك التأكيد على أن خلاص عالمنا العربى لن يتأتى فى ظل تلك الديكتاتوريات الحاكمة ، وإنما فى ظل الحرية والديمقراطية ؛ فجاءت هذه الدراسة كنموذج استرشادى Paradigm ، من خلال التعرف على تلك الحرية الأمريكية ، ومدى إمكانية مساهمتها- بما يتناسب مع طبيعتنا الثقافية - فى النهوض من ذلك السبات الديمقراطى التى يكتنف أنظمتنا الحاكمة .

رابعاً- فرضيات الدراسة :

تسعى هذه الدراسة إلى اختبار خمسة فروض ؛ للتحقق من مدى صحتها ، وهى :

١- أن مفهوم الحرية يتأرجح بين السلب والإيجاب ، وذلك التأرجح يحدد طبيعة الدور الذى تلعبه الدولة ، كما أنه يؤكد على الطبيعة الدينامية للمفهوم ، وأنه ليس صلباً تجاه ما يحيطه من متغيرات .

٢- أن ثمة علاقة جدلية بين الحرية والثقافة ، حيث أن الثقافة السائدة فى أى مجتمع هى التى تحدد طبيعة الحرية وحدودها ، فالحرية منتج ثقافى ، إلا أن ذلك لا يعنى أن دور الحرية يتوقف عند تلك الحالة الاستجابية للمتغيرات الثقافية ، إلا أنه بعد أن يتشكل يمارس دوراً تأثيرياً توجيهياً .

٣- أن الفكر السياسى الإنجليزى كان دعامة بناء الفكر السياسى الأمريكى ،